

تفسير ابن كثير

يقول ﷻ تعالى ناهيا لرسوله صلى ﷻ عليه وسلّم والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو ﷻ لا إله إلا هو كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية : قالوا : يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم ﷻ أن يسبوا أو ثابهم { فیسبوا ﷻ عدوا بغير علم } وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة : كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار ﷻ عدوا بغير علم فأنزل ﷻ { ولا تسبوا الذين يدعون من دون ﷻ } وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي أنه قال في تفسيره هذه الآية لما حضر أبا طالب الموت : قالت قريش : انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فإننا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب : كان يمنع فلما مات قتلوه .

فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن البختري وبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب قالوا : استأذن لنا على أبي طالب فأتى أبا طالب فقال : هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك فأذن لهم عليه فدخلوا عليه فقالوا : يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه فدعاه فجاء النبي صلى ﷻ عليه وسلّم فقال له أبو طالب : هؤلاء قومك وبنو عمك قال رسول ﷻ صلى ﷻ عليه وسلّم [ما تريدون ؟] قالوا : نريد أن تدعنا وآلهتنا ولندعك وإلهك فقال النبي صلى ﷻ عليه وسلّم [أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم وأدت لكم الخراج] قال أبو جهل : وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها قالوا : فما هي ؟ قال قولوا [لا إله إلا ﷻ] فأبوا واشمأزوا قال أبو طالب : يا ابن أخي قل غيرها فإن قومك قد فزعوا منها قال [يا عم ما أنا بالذي يقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي ولو أتوا بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها] إرادة أن يؤيسهم فغضبوا وقالوا : لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنشتمنك ونشتمن من يأمرك فذلك قوله { فیسبوا ﷻ عدوا بغير علم } ومن هذا القبيل وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها ما جاء في الصحيح أن رسول ﷻ صلى ﷻ عليه وسلّم قال [ملعون من سب والديه] قالوا : يا رسول ﷻ وكيف يسب الرجل والديه ؟ قال [يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه] أو كما قال صلى ﷻ عليه وسلّم وقوله { كذلك زينا لكل أمة عملهم } أي وكما زينا لهؤلاء القوم حب أصنامهم والمحاماة لها والانتصار كذلك زينا لكل أمة من الأمم الخالية على الضلال عملهم الذي كانوا فيه وﷻ الحجة

البالغة والحكمة التامة فيما يشاؤه ويختاره { ثم إلى ربهم مرجعهم } أي معادهم ومصيرهم
{ فينبئهم بما كانوا يعملون } أي يجازيهم بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر